خطاب جلالة الملك في افتتاح الدورة الأولى للسنة التشريعية الرابعة

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

حضرات النواب

انكم تعلمون ــ وأريد مرة أخرى ان تعلموا أكثر ــ الفرح العميق الذي أحس به كلما وقفت بينكم في هذا المجلس الموقر المحترم لأفتتح الدورة التشريعية لبرلمانكم، ودواعي تلك الفرحة هي دواعي شتى.

أولا : لانني ديمقراطي الطبع والطبيعة، وأحس بنفسي بين أهلي وذوي حينما أكون معكم.

السبب الآخر لفرحتنا، وهو سبب مشترك بيننا، وهو الافتخار والاعتزاز بأنه لم تمض على استرجاع حريتنا أكثر مما ينيف عن عشرين سنة حتى قررنا دستورا وقررنا أحكاما، ومن أهم وأخطر الأحكام التي قررنا التعددية الحزبية والنقابية.

ان ربحا كهذا الربح، ومكسبا كهذا المكسب، شيء لا يحس به ولا يعطيه قيمته الا من فتح عينيه على ما يجري من حوله، وحينما نفتح أعيننا، وحينما نقرأ أو نسمع، نرى اننا اخترنا الاختيار الصعب، ولكن الاختيار الصائب.

فاختيار الحزب الوحيد والنظام الوحيد، هو طريقة سهلة يعتبره بعض القادة أكثر فعالية، لأن السلم للأمر لمن يعطيه ولمن يتلقاه، ثم لمن يتلقاه الى أسفل السلم، يظهر ان الانجاز يمكن أن يكون اسرع، أو ربما يتخيل المرء انه نظرا لاختيارات الدولة النامية، علينا ان تكون في غنى عن هذا البذخ السياسي، وهو التعددية.

أقول : لا، السرعة في التنفيذ ليست هي الهدف الاول، الهدف الاول هو اقتناع الجميع بالمشاريع.

ثانيا : اشراك الجميع في تلك المشاريع.

ثالثا : ان يتبين الجميع تلك المشاريع، فلماذا تبقى كل معجزة وكل منجزة وقفا على هيأة أو شخص.

يجب على كل مغربي مغربي كيفما كان مستواه، ان يعتبر كل مشروع ضخم وكل منجزة ابنا له، وان يعتبر انه شارك فيها وانها ليست نتيجة فلان أو فلان، ولا بنت هيأة دون هيأة، ولكن نتيجة عمل الجميع كيفما كانوا سواء من الخواص او من الادارة.

أنا الذي اخترت الآية الكريمة التي افتتحنا بها هذه الجلسة، لنسمع آية ﴿وشاورهم في الأمر﴾ وهناك آية أخرى ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾.

أنا أعتقد، واستغفر الله واستسمحه باجتهادي المتواضع، ان الآيتين ليس لهما نفس المعنى، الشورى في الاسلام تنقسم الى قسمين في نظري :

ــ الشورى الاجتماعية الخلقية، والشورى السياسية «أمرهم شورى بينهم» واللفظ هنا «أمر»، هنا يقتضي

مشاكلهم، قضاياهم تباحثهم «أمرهم شورى بينهم» على المستوى المحلي وعلى المستوى الاقليمي، على مستوى المدينة وعلى مستوى الجيران «أمرهم شورى بينهم» يتحلون بالشورى، والشورى هي التي تجعل ان المسؤولية التي كانت منحصرة في درب أو في مدينة تصير مسؤولية جماعية، لأن خلقهم الشورى، والآية الاخرى جاءت بالامر «وشاورهم» وجاءت بالتعريف في «الأمر» و «الامر» هنا هو الشأن، هو القرار. فهذه هي الشورى السياسية حسب اعتقادي واجتهادي، واستغفر الله ان كنت اخطأت.

فإذاً كيف يمكننا ان لا نكون ناجحين في حياتنا الدستورية والديمقراطية، ونحن الشعب المسلم الذي نشأ في الشؤون الخلقية، ويجب ان يعمل بالشؤون السياسية.

ان الديمقراطية ككل شيء اذا ارادت ان تنجح وأن تترعرع وان تبقى راسخة في هذا البلد الأمين يجب ان تكون ديمقراطية في العمق وفي الشكل، فمن أخطر الأخطار ان نبقى متمسكين بالشكل والشكليات، وان ننسى العمق والفلسفة والغايات، وهذه الروح يجب ان تكون سارية في كل عضو من أعضاء المجتمع المغربي نائبا كان أو وزيراً أو قاضياً أو رجل سلطة، وربما أولئك الذين هم سلطة كيفما كان المنصب الذي يشغلونه هم الذين يجب عليهم ان يعطوا المثال وأن يكونوا دائما عند التطبيق يرجعون، الى ماذا ؟ يرجعون الى ما أراده المشرع أو — استسمح الله في المقارنة — ان يرجعوا الى أسباب النزول، وان يرجعوا الى فلسفة من وضع ذلك القانون أو تلك القاعدة.

فاذا أصبح هناك حوار في ذهن كل واحد منا مع نفسه سهل بعد ذلك الحوار بين مشرع وبين منفذ، وبين وزير وبين ممثل، وبين جميع الطبقات المسؤولة على سير هذا البلد.

علينا ان نعلم حضرات السادة — وتعلمون هذا — ان الخطى التي خطوناها مرحلة مرحلة منها ما كانت خطى واسعة ومنها ما لم نحس بها أبدا، ولكن كان دائما مشياً حثيثا يرمي قبل كل شيء الى ان لا يبقى اي مغربي في هذا البلد يمكن ان يقول لست مسؤولا. فاللامركزية التي أردناها وبنيناها بحمد الله وشكره وقفنا على آثارها ومآثرها، تلك اللامركزية هي التي تجعل كل أحد في المغرب في أي ميدان قام يوما ما بعمل ما شارك في انجاز مشروع ما.

وهكذا يجب ان يبقى سيرنا في المستقبل هذا السير، فالديمقراطية ليست ما يقرر في مجلسكم الموقر هذا، أو فيما يقرر على منصة الحكومة، الديمقراطية هي قبل كل شيء شعور كل واحد **على أنه** مؤهل لأن يحمل على كتفيه جزءاً ولو صغيراً من المسؤولية، وما أشرفها مسؤولية ولو كانت صغيرة، وكم هي أستاذ هذه المسؤولية ؟ وكم علمتنا التواضع، وعلمتنا النقد الذاتي، وعلمتنا قبل كل شيء ان نضع دائما انفسنا في محل المخاطب، وهذا هو سر الحوار، ان يضع الانسان نفسه في محل المخاطب، يحاول أن يتقمص شخصيته وتفكيره واهدافه، ولا يمكن ان يخطر ببالي ولو لحظة عين انه اذا تقمصنا شخصية المحاور اننا سنجد فيها خليطا أبدا، أنا انزه كل مغربي مغربي على ان لا يكون مغربياً حقاً مائة في المائة يمكن أن يكون حاملا نظارات ترى **مشكله** وعلى حسب ما يعتقد هو الصواب، ولكن نية المغربي. أي مغربي كان، وانما الأعمال بالنيات، لا يمكن ان تكون الا نية مغربية وطنية دائماً في مقدمة النضال **للرفع** من شأن البلد وشأن المواطنين.

وقبل ختام هذه الكلمة أريد حضرات النواب ان أذكركم اننا في السنة الماضية في مثل هذا اليوم كنا طرحنا عليكم او كنا شاركناكم فيما يخامرنا من تفكير بالنسبة للقطاعين العمومي والشبه العمومي. وفي الأشهر



المقبلة ستتم الدراسة، ونظراً لأهمية هذه المشكلة ونظرا لطابعها المصيري، قررنا ان نفتح شخصيا الدورة البرلمانية المقبلة الربيعية لا لنطلب منكم ولا لندافع عن مشروع، بل لنقول لكم خذوا وقتكم ادرسوا هذا القانون في الاطار الذي سيكون منعطفا، وآنذاك سندخل في المسطرة القانونية التي تقتضي ان تدرسها الحكومة وترفعها الى نظرك السديد، ولنا اليقين بانه حينما سترون ما ستعرض عليكم ستكون لكم الشجاعة الكافية للادلاء بالرأي غير المطبوع بالحساسية، الرأي العلمي تقريبا الذي لا يتكيف بهذا ولا بذاك، وانكم سترفعون الينا ما ترونه صالحاً أو غير صالح في ذلك المشروع.

قلت وكررت وما زلت أكرر انه بالنسبة لعبد الله الضعيف خادم المغرب الأول عبد ربه ليس هناك فصل السلط انا أبو الجميع، أبو المشرع، أبو المنفذ، أبو الصغير وأبو الكبير، وأبو القوي وأبو الضعيف، فمنذ ان افتتحنا هذا البرلمان وانا انتظر كل يوم منكم رفع ملتمس ولو مرة في السنة أو مرتين، كما يطلب وزيري الذي هو منفذ اللقاء او الاجتماع بي ليطرح علي اختيارا بين مشاكل ومشاكل، فأنا كنت دائما أقول لكم : ان بابي مفتوح وان مكتبي مفتوح، وان الملتمسات التي تبقى في بعض الأحيان حبراً على ورق حينما تكون تلك الملتمسات ذات أهمية أنا مستعد لدراستها واياكم، وهذا واجبي الاول، لأنكم كلكم سواء من في الحكومة او من في البرلمان تعملون قبل كل شيء كرجل واحد لاسعاد هذه الدولة ولاسعاد هذا الوطن.

فالله سبحانه وتعالى اسأل ان يديم علينا نعمة الحوار وما يترتب عليه، وان يجعل ابناءنا وحفدتنا مؤمنين راسخين بديمقراطيتهم وبمكاسبهم الدستورية حتى يمكنهم دائما جماعات جماعات ان يسيروا بهذا البلد الأمين وهذا الشعب الشريف النبيل الى ما يستحقه من عزة ورفاهية، وقبل كل شيء من أمن وطمأنينة.

«ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، انك انت الوهاب» صدق الله العظيم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 14 صفر 1408 — 9 أكتوبر 1987